" باب عشره "

رواية قصيره

Email : ahmed_ibrahem 289 @ yahoo .com

أنا اللى بالأمر المحال اغتـوى
شفت القمر نطيت لفوق فى الهوا
طلته ما طلتوش ايه أنا يهمـنى
وليه .. مادام بالنشوه قلبى ارتوى
صلاح جاهين

الشخصيات

شخصيات هذه الروايه ليست حقيقيه وان تشابهت مع الواقع فى بعض تفاصيلها فهى من قبيل الصدفه الفنيه أو الخيال الادبى .

شخصيات محوريه:

قدرى عبد العظيم : رئيس مجلس الاداره
نور : زوجة قدرى
نرجس : مديرة مكتب قدرى بك
عم جابر : جار نرجس
أمل : ابنة الجبالى
جاكلين : فتاه يونانيه مولوده بالاسكندريه
عمر : ابن نرجس
زكريا : رئيس ااالعمال
محمود : صديق عمر
سيد الجبالى : شهيد فى حرب اكتوبر
يسريه : ارملة الجبالى

شخصيات ثانويه :

صبرى عبد الدايم : رئيس المجلس المؤقت
القبطان : ابن عم قدرى (بك)
الكابتن
السيده المنتقبه
السيده الثريه
الشيخ يوسف
ضابط أمن الدوله
نواب ومعارضون فى البرلمان
وكيل الكليه لشئون الطلبه
اولاد اخت عم جابر
وكيل الورثه
عمال وموظفين

-١-

فى ركن المقهى العتيق المطل على الميناء الشرقيه التى تعج بالمراكب الصغيره الهائمه .. وقد اكتسى سطح الافق بألوان الشمس الغائبه.. بدأ النشاط يدب فى شارع الكورنيش وبدأت المحلات تزدان بقدوم موسم الصيف .. اعتاد أن يلتقى مع أصدقائه القدامى .. وما هى الا لحظات حتى اجتمعت شلة الأصدقاء ومن بينهم ابن عمه (القبطان) وأخذوا جميعا يتجاذبون أطراف الحديث ويتندرون على الاحوال السياسيه والاقتصاديه ويتبادلون بعض النكات البذيئه تقطعها رشفات من القهوه الساخنه .. ونسيم الهواء البارد يلفح الوجوه .. وجو من المرح يسود مع سحب الدخان الابيض المتصاعد تلف أرجاء المكان .. ورويدا رويدا يتقاطر الرواد والمصطافين و تتعالى الاصوات و تختلط وسط الزحام .. لكن السيد "قدرى"كان معتل المزاج .. مهموم البال منذ فتره ليست ببعيده .. خفتت نبرة صوته العاليه .. وبهتت ضحكته المجلجله وتسرب الغضب الى تجاعيد جبهته العريضه .. شرد ذهنه طويلا .. تراقصت أمام عينيه صور باهته لم تستكمل ملامحها.. لكن هذه الصور أصبحت بؤرة اهتمامه وجل تفكيره ..
افاق على صوت النادل العجوز وهو يلقى تحية المساء ويهم برفع الاكواب الفارغه ومبديا سعاده بالغه فى تلقى اى طلبات جديده .. مال الى ابن عمه وأسر له حديثا باهتا فقال له الاخير باهتمام بالغ :

ألم تكفك حبه واحده ؟!

- ولا اثنتين !

- سنجرب اذا نوعا جديدا

- فلا يكون تأخيرك كالمعتاد

- ولماذا الاستعجال ؟!

- ستعرف فى حينه

وانطلقا الاثنان بعد قضاء السهره وودعا اصدقائهما على ان يلتقوا جميعا فى الاسبوع القادم فى نفس الميعاد ...
أطال القبطان تأخيره المعتاد فى البحر ثم عاد وزار قدرى(بك) فى شقته الفخمه بالحى الراقى ومعه بعض الهدايا (زجاجات نبيذ فرنسى- و سيجار كوبى فاخر وبعض أقراص زرقاء) التقط قدرى الاقراص ووضعها فى علبتها وأخذ الاثنان يشربان كأسا فاثنين فثلاثه يتخللها أنفاس عميقه من السيجار الداكن الغليظ مع شرائح من التفاح الاحمر وحبات من الكرز المستورد .. أحس القبطان أن رأسه ستميل وأن لسانه اصبح ثقيلا فاستأذن وانصرف .. التهم قدرى زجاجة كامله ثم صعد الدرج الى جناح النوم وبالكاد وصل الى غرفة زوجته الشابه وكانت مستلقيه بعد حمام دافىء بقميص أبيض شفاف - بدون أكمام ومفتوح الصدر تماما - قامت بتأود تساعده على فك أزرار قميصه ، وتاهت أصابعها الصغيره فى ثنايا صدره الضخم .. تأمل ثدييها العامرين وعينيها الزرقاوين واشتم عبير عطرها النفاذ تفوح من كل جسدها الابيض اللامع الممشوق .. لم تمهله ذابت بين أحضانه وراح فى نشوة جامحه يقبلها بجنون .. تذكر الحبه بين يديه ابتلعها على الفور وأكملا عناقها .. ارتمت الزوجه على السرير واشتعلت الرغبه بداخلها.. احمرت عيناه ، وانتفخت أوداجه وتصبب العرق على وجهه .. نظر الى لحم بطنه المترهل وفخذيه المكتنزين .. وطالت نظرته.. !!
امتدت يده الى زجاجة الخمر الفارغه ورمى بها بغيظ كاسح فى المرآه حتى تكسرت تماما وتطايرت الشظايا على سجاد الغرفه الشينواه .. احتضنته زوجته باشفاق متبلد - وكانت عاريه تماما - وانتزعت كامل ملابسه بدأت النشوه تتحرك ثانية فى جسمه جلس على حرف السرير وزوجته مستنده بركبتيها على الارض داعب خصلات شعرها الكستنائى الطويل ، ونزل باصابعه الى صدرها الرجراج يتحسسه ببطن يديه .. و ..كان نداءالزوجه الحار بأن يرحمها من عذاب الرغبه الآسره ..

-٢-

دق جرس التليفون فى بيت نرجس وكان الوقت ظهرا وعلى الفور التقطت السماعه وجاء صوته معاتبا عرفت بانه قدرى بك (رئيس مجلس الاداره) :

- لماذا لم تأت اليوم ولم تبلغينى بأجازه من الامس.

أربكتها الدهشه وتمالكت نفسها وقالت بصوت ناعم :

- طلب الاجازه على مكتب سعادتك وكنت بالامس فى اجتماع مع سيادة المحافظ ورجعت بعد ميعاد الانصراف .

بدى كأنه أفاق لتوه من اغماءه طويله فأردف قائلا بصوت جهورى :

- ولماذا الاجازه اذن ؟!
صمتت برهه وقد بدأت نبرات صوتها تتغير :
- امتحانات عمر(ابنها الوحيد) اليوم ولابد أن أكون بجانبه .
أحس بأن شيئا ثقيلا على صدره أخذ يذوب ويتلاشى .. فعمر ابنها الوحيد ولا أحد بجانبه فى امتحانات الثانويه فالتمس لها العذر وانهى حديثه مشاغبا بلهجه سكندريه :
- احنا خدامين عمر واللى جابو عمر
- شكرا يافندم
تذكرت نرجس ميعاد ابنها فأبدلت ملابسها وخرجت مسرعه تجتاز الماره والسيارات الى مدرسة عمر بالشارع المقابل .
اختارها قدرى (بك) من بين عشرات الموظفات لتكون مديره لمكتبه .. وجهها أبيض ناصع لم تمسسه المساحيق الا قليلا .. زيها متناسق انيق .. و شعرها داكن قصير ينسدل على حمرة خديها الممتلئين .. فيزيد ملامح وجهها تألقا .. رآها وهى تخطو خطواتها الاولى فى حياتها الوظيفيه .. تلاقت نظراتها .. أعجبته.. وقف مبهوتا .. لم يصدمه جمال ساطع كالذى وجده فى نرجس .. يصفها دائما لأصدقائه المقربين بالورده التى لاتذبل أوراقها وهى تستطيع أن تجعل نفسها فى ربيع دائم لولا ما يحيط بها من عواصف ورياح عاتيه فى معترك الحياه .. وهى بدورها بادلته نفس الشعور فقد كانت فى مقتبل العمر وحيدة أبويها أكملت تعليمها الجامعى .. انطبعت معاملة والدها (الموظف بالأرشيف) على شخصيتها المستقله منذ طفولتها .. فكان لها رأيها الخاص فى كل شىء لكنها بطبيعة الحال ظلت اسيرة العرف و التقاليد الاجتماعيه .. ثم كانت الأحاسيس المرهفه بينها مثارا للقيل والقال بين جدران وأروقة الشركه .. تقدم لخطبتها فسأل والدها عنه – وهو المحافظ المتدين فوجده يسهر كثيرا ويفرط فى الشراب .. فرفضه .. واغتاظ قدرى وأحس كأن روحه قد سلبت منه..اوأن شيئا ثمينا قد اغتصب من ممتلكاته .. فأخذ يسىء الى سمعة الوالد ويتهمه بين زملائه بالرجعيه والتخلف وانضمامه الى جماعه محظوره .. وأرسل كما من التقارير الى أمن الدوله وكاد ان ينسف به لولا تدخلات نرجس وتوسلاتها .. ومرت سنوات من عمره .. ولم يتزوج الا قريبا .. لكنه ابدا لم ينس الورده التى لم تذبل أوراقها ..

-٣-

من خلال شرفته بالدور الثانى فى العماره القديمه رقم (٥) بشارع النصر عند أول سوق الميدان يكون عم "جابرحسين" شاهدا على تاريخ الشارع الذى لاتهدأ فيه حركة الماره والسيارات ليلا أو نهارا ..كانت تسكنه الجاليات الاجنبيه لقربه من الميناء البحريه التى وضع أساسها محمد على واستقطب الخبراء الاجانب لادارتها وبنيت فيه العمائر الفخمه ذات الشرفات الجميله وامتدت حركة العمران على طراز عصر النهضه الاوروبى الى الشوارع المحيطه التى أعيد تخطيطها لتلائم التطور الحديث وانتشرت البارات والفنادق ودور السينما والمحلات والبنوك والمحاكم واصبحت هذه المنطقه بالذات مزارا سياحيا و متحفا مفتوحا وقلب الاسكندريه النابض بالحياه والحركه و تفرعت الحارات والازقه وتجمع اليهود فى حاره سميت باسمهم وعملوا فى كثير من الانشطه بدءا من تجارة الاقمشه و بيع الذهب الى ادارة المصانع والشركات الكبيره و أيضا فى أعمال سريه أخرى كشف النقاب عنها لاحقا ولعل محاولات تفجير المراكز الاجنبيه ودار سينما مترو (عملية لافون) اشارت باصابع الاتهام الى عشرات منهم تم التحقيق معهم وأودعوا السجن وصدر الحكم على بعضهم بالاعدام .. ثم هاجرت الجاليات بالتدريج بعد صدور قرارات التأميم وتولى كبار الضباط مسئولية ادارة الميناء والمؤسسات الاخرى التابعه للدوله واستوطن كثير منهم فى وسط البلد ونشأ مجتمع آخر جديد تحكمه متناقضات كثيره ظاهره من استغلال للسلطه والنفوذ الى مشاجرات لأتفه الأسباب بين الزوجات وخادماتهن المجلوبات معهن من أعماق الريف.. الى ان جاء عصرالانفتاح وأصبح الشارع من أهم الشوارع التجاريه فى المدينه كلها تباع فيه البضائع المحليه والمستورده والمهربه.. أيضا تضاعفت الايجارات بصوره مذهله وظهرت شريحه من التجار كانوا أصلا عمالا فى الميناء وتطورت معيشتهم وتغيرت حالتهم بطرق مشروعه وأخرى غير مشروعه الى ان أصبحوا أصحاب محلات وعقارات وتتصدر صورهم يوميا اعلانات الجرائد !!.. أيضا برز دور السماسره وتجار العمله لكثرة المترددين من السياح العرب والاجانب ولم تكن اماكنهم معروفه ومنهم من كان يستغل نشاطه فى بيع الاحذيه أوالبضائع المستورده فى تغيير العمله قبل ان تصرح الدوله باقامة أماكن مرخص لها بمزاولة هذه المهنه فتحولت محلات كثيره الى مصارف صغيره.
وحين ينزل عم جابر الى الشارع الطويل لاتخطأه العين أبدا بقامته المديده ومشيته المتئده ووجهه الخمرى العريض وشعره الاشيب الغزير.. يعامل الناس كلهم معامله واحده لافرق عنده بين غنى أوفقير ولاطويل أو قصير .. بعد احالته على المعاش مكانه بالمقهى الصغير أمام باب الميناء رقم عشره أصبح معروفا للجميع فيقصده الناس لقضاء حوائجهم دون مقابل الا الثناء والشكر الذى كان يرفضه ، فهو بحكم خبرته الطويله فى الحياه

يعرف القاصى والدانى دون أن يتبذل لأحد أو ينافق مخلوق فسمعته مثل " الجنيه الذهب "كما يقول العامه .. آل على نفسه التمسك بعادات وتقاليد يراها البعض باليه فى زمن أصبح كل شىء معروضا للبيع والشراء!! . أحب فى شبابه " جاكلين " .. الفتاه اليونانية .. الشقراء ذات العينين الخضراوين والوجه المشرق الجميل والابتسامه الرائقه الصافيه .. تعرف عليها بالصدفه عند مراكب الصيادين بجوار" نادى الكشافه البحريه " فقد كانت تهوى التصوير واشتركت فى معارض كثيره بصورها البارعه .. افتتنت بجمال الطبيعه الساحره فراحت تسجل بالكاميرا كل ما تقع عليه عينيها من مناظر طبيعيه وتعمقت فى دراستها للاماكن والشخوص .. وتأثير الظل والنور.. حتى اختيرت لوحاتها الفوتوغرافيه فى مسابقات دوليه .. وفى نفس الوقت كانت تعمل مع والدها فى مقهى "ايليوت " الشهير بطابعه المميز وسط البلد والذى اكتسب شهرته من كثرة المترددين عليه من الكتاب الكبار أمثال كافافيس، ونجيب محفوظ ، وغيرهما وزينت جدرانه لوحات عظماء الفنانين من بيكاسو الى سيف وأدهم وانلى .. وتعددت لقاءاتهما وذهبت معه فى رحلة بحريه وعادت وقد تعمقت الصداقه بينهما واتفقا على الزواج لما وجده فيها من جمال ونبل وتواضع ووافقت هى ايضا لما رأت فيه من شهامه واخلاص .. وأخذه التيار الجارف أواخر الاربعينيات وانخرط فى العمل الوطنى وانطلق فى مظاهرات الطلبه التى كانت تهتف بسقوط الاحتلال ومحاكمة الخونه وأعوان الاستعمار وقبض عليه البوليس السياسى وحوكم وأودع السجن بتهمة توزيع المنشورات السياسيه المناهضه للانجليز . . وكانت خطاباتهما المتبادله عبر ادارة السجن هى مستودع الذكريات خلال هذه الفتره الأليمه من حياته والتى استمرت ثلاثة أعوام فى الواحات لم تره فيها الا مرتين .. ثم قامت الثوره وتغير كل شىء حتى رواد المقهى الانيق الذى أصر وريثه اليونانى ألا يهدم أو تتغير ملامحه المميزه كأنه تحد سافر لضربات الزمن الموجعه .. وآثر والدها الهجره الى بلده مع الكثير من أصدقائه وأصرت هى على البقاء حيث مولدها ونشأتها وحبها الوحيد لكنها خضعت على وعد بالعوده فى القريب العاجل .. وكان منظر الفراق صعبا للغايه وهو يودعها بالقبلات الحاره وهى على بكائها المتصل عند رصيف الميناء تاركه له ورقه بيضاء مكتوب عليها عبارات حب وغزل بالعربيه - التى كانت تتقنها – وايشاربا حريريا لايزال يحتفظ بهما ضمن مقتنياته الشخصيه مع صور لهما بلباس البحر .. وتمضى الحياه ولم تثنه سنين السجن الا اصرارا وكفاحا فانضم الى كتيبه من الفدائيين أخذت مواقعها غرب القنال وكبدت المحتل الغاشم خسائر فادحه فى الارواح الى ان أصيب بشظيه فى فخذه الايمن أثرت على مشيته طيلة حياته .. وجاءت النكسه بكل مراراتها وأحزانها .. وانزوى فى بيته يجتر آلامه وأحلامه التى انهارت تماما تحت وطأة الكارثه.. وجاء خطاب منها أخيرا تخبره فيه ان والدها قد توفى و ترك لها ميراثا كبيرا ومرفق مع الخطاب دعوة زياره لبلدها.. وكان صوت الجماهير الغفيره التى خرجت عن بكرة أبيها تردد فى صوت واحد كالرعد " لا .. مستحيل .. مش ممكن " .. فتوقفت يده عن الكتابه وارتجفت مشاعره بالكامل .. ولم يستكمل الرد عليها .. وخرج من بيته ليضيع وسط الزحام .. ويتوحد نداءه مع نفس العباره التى انتشر صداها فى أرجاء المدينه فاهتزت بالكامل تماما كما حدث من قبل فى محاولة الاغتيال الشهيره امام مبنى الاتحاد الاشتراكى .. واستعاد نشاطه المعتاد وأصبحت أحاديثه فى المقهى للشباب المتحمس أشبه بترانيم وصلوات فى عشق الوطن .. وعاش حياته وفى اعتقاده بانه لن يرى مثل هذه الانسانه الرقيقه الودوده التى أحدثت انقلابا حقيقيا فى حياته فهو دائما ما يعيش على ذكراها ولاينساها أبدا رغم انقطاع الرسائل بينهما وانشغالها فى اعمالها التجاريه التى لاقت رواجا كبيرا .. والأغرب انه كان يؤرخ لمجريات الاحداث والمتغيرات التى مرت عليه بقبل او بعد السنه التى عرف فيها " جاكى " (كما ينطقها) .. وجاءت حرب اكتوبر وانتشى الجميع بأفراح النصر وتحرير الارض وفى غمرة الانتصارات جاءه خبر استشهاد جاره وزميله فى رحلة الكفاح " سيد الجبالى " وهو يرفع العلم على الارض المحرره فى عمق سيناء .. فذهب مع بعض الجيران الى أسرة البطل لتقديم واجب العزاء وكانت ارملته " يسريه " لم تزل عيناها ناضحه بالدموع .. فأحس بان الجبالى يناديه من قبره ويكاد يسمع رنين صوته وهو يوصيه بزوجته وابنته .. وتوالت الزيارات حتى عرض على ارملة الشهيد الزواج فترددت فى بادىء الامر ثم قبلت وانتقلت مع طفلتها " أمل " ذات الشهور السبعه الى شقة جابر وعاشا فى كنفه الى ان تخطت" أمل " حاجز الطفوله .. وتمضى الايام لايعكر صفوها الا تصرفات يسريه الشاذه فهى متقلبة المزاج .. عصبيه .. غريبة الاطوار ..غير راضيه عن حياتها .. تسعى الى اخفاء طابعها الريفى باستخدام الكثير من المساحيق وأدوات التجميل والملابس الضيقه المثيره .. واعتادت السهر خارج البيت وكلما نهرها جابر لتعود الى رشدها وتقطع عنها الالسنه التى خاضت فى سيرتها تعللت بقريبتها المريضه التى لايسأل عنها أحد وهى على فراش الموت ، لكنها فى الحقيقه كانت قد استجابت لنداء رغباتها .. وعملت فى احدى البارات الرخيصه .. جن جنون الرجل ولم تجد معها محاولات نرجس (جارتها) لاعادتها الى رشدها ، ورعاية ابنتها ، حتى اختفت عن الانظار تماما وقيل انها ذهبت مع متعهد حفلات الى القاهره حيث الاضواء والشهره .. وعلى بعد خطوات من مسكنه ذهب جابر الى المحكمه " الحقانيه " وطلقها غيابيا .. وبقيت " أمل " فى ذمته .. فاهتم بها ورعاها..كما فعلت " نرجس " .. فكانا الاثنين أكثر من أب وأكثر من أم ..

-٤-

كان اجتماع قدرى (بك) بالعمال والموظفين عاصفا للغايه ..القاعه الكبيره امتلأت عن آخرها تتصدرها صوره زيتيه باهته للزعيم الراحل جمال عبد الناصر أعلى المنصه التى يجلس عليها كبار المديرين وعلى رأسهم قدرى بك .. قصد المنظمون احراجه من أول سؤال عن زيادة الحوافز الموعوده وكان دائما ما يهرب من هذا السؤال وكأنما يسمعه لأول مره وأخذ يسرد حديثا طويلا مفصلا مفاده بأن الميزانيه هذا العام لاتسمح واشار الى ان يتكلم السيد / صبرى عبد الدايم رئيس الشئون الماليه - ونائب رئيس المجلس- فاسرد الاخير حديثا اكثر تفصيلا لم يقنع احد.. وكأن المجتمعون قد قاموا قيامة رجل واحد وكانت الاشاره المتفق عليها من رئيس العمال (زكريا) فساد الهرج والمرج وعمت الفوضى القاعه ولم يتدارك قدرى بك الموقف ولكنه استعاد جأشه وتناول هاتفه المحمول واستدعى قوات حفظ النظام من الخط المباشر مع مدير الامن والتى حاصرت المبنى من الخارج برتل من السيارات المصفحه .. خرج العمال من القاعه وهم بعضهم بالخروج الى الشارع فمنعتهم قوات الامن أصر رئيس العمال بان يفتح الباب وخاصة انه قد جاء وقت الانصراف لكن لم تتم الاستجابه من الرائد المكلف بانهاء المظاهره مهما كانت الخسائر وقد دخلت قوه صغيره يرأسها ضابط لحراسة السيد قدرى وزملائه .. أشار رئيس العمال بتسلق السور والهروب الى الشوارع المجاوره لكنهم وقعوا جميعا فريسة للكلاب البوليسيه والهروات الطائشه استطاع زكريا ان يفلت من الضرب المبرح وجرى بأقصى سرعه واختبأ بأحد البيوت وصعد الى السطح وقفز الى سطح أخر ونزل سلما حجريا واستكمل جريه الى شارع أخر جانبى لم يلتفت او ينظر وراءه .. ساعده جسمه القوى وبنيانه المتين ان يبعد كثيرا عن القوه المتمركزه حول المبنى .. لكنه فوجىء بما لم يكن فى الحسبان ....

-٥-

استيقظ الجيران قبيل الفجر بقليل على صوت ارتطام حاد أعقبه صريخ متصل تجمع الناس فى شقة عم "جابر" حيث مصدر الصوت وهالهم منظره وهو جثه هامده ملقاه على الارض .. أكب بعض الرجال عليه منهم من قلبه على ظهره وآخر تحسس نبضه .. لكنه كان شاخصا ببصره و كان قد فارق الحياه من سويعات قليله .. مات عم جابربعد عطاء حافل فى الحياه وكانت جنازته مهيبه اخترقت الشوارع المحيطه وتقدمها بعض من القيادات الشعبيه التى كانت تعرف قدر الرجل وتضحياته الكبيره .. الى ان وارى جثمانه الثرى فى مقابر الاسره بالمناره وأعلن صاحب المقهى الحداد على عم جابر ثلاثة أيام بلياليهم يتم فيهم تقديم الطلبات للزبائن بالمجان .. وفى الليل تجمع الكثير من الرجال فى صوان كبير اشترك فيه الجميع لتلاوة آيات الذكر الحكيم ينعون فيه الرجل ويذكرون مآثره .. لكن أشد ما جذب الانتباه ظهور ثلاثة شبان يلبسون بدلا لامعه وكرفتات ملونه وبعد انتهاء العزاء طلبوا ان يذهبوا الى شقة عم جابر حيث كانت " أمل " تتقبل العزاء مع بعض السيدات .. خرج النسوه ولم يتبق الا الشبان الثلاثه وبعض الرجال .. تقدم أحد الشبان وقام بتعريف نفسه واتضح انهم اولاد أخت عم جابر الصغيره التى هاجرت مع زوجها الى أمريكا منذ سنوات .. تم الترحيب بهم على أنهم ضيوف نظر الثلاثه الى بعضهم البعض وقال أحدهم بعصبيه زائده :

- لم نأت للضيافه !

قال أحد الجيران بامتعاض : وما طلبكم اذن ؟!

- الشقه

- اية شقه

- شقة خالنا

- آلآن وقد عرفتم أنه خالكم وأين كنتم طوال هذه السنين وقد مرت على خالكم ايام عصيبه كان فيها بين الحياة والموت ولولا هذه المسكينه وأشار بيده الى " أمل " – التى كانت تتفرس فى وجوههم بغيظ شديد - لولا هذه المسكينه لكان فى عداد الاموات منذ سنين

رد أحدهم بهدوء متناه :

- نريد الشقه وسنأخذها بقوة القانون وخصوصا وانها (..) ليس لها الحق فى أى شىء من ورث خالنا وكلكم تعلمون ذلك أليس الحق أحق أن يتبع

- نعم يابنى(بشفقه بالغه) ولكن البنت ليس لها مأوى منذ ان تفتحت عيناها على الحياه الا هذا البيت ويجب ان تكون فى قلوبكم رحمه

- ياسيدى (بلا مبالاه) هذا شرع الله

- ولكن الله رؤوف رحيم بعباده

- اسمع ياحاج هذا حقنا ولن نفرط فيه .. ونظر الى الاخرين كأن هذا هو ما كان متفق عليه من اليوم سنوقع على هذا العقد وستوقع "أمل " على ان تكون الشقه وما عليها من أثاث فى حكم الايجار مقابل مبلغ مالى (٣٠٠ جنيه لاغير) أظن ان الايجارات ارتفعت هذه الايام ورحمة منا بها اكتفينا بهذا المبلغ !!
- ولكن من اين ستدبر هذا المبلغ وهى لاحول لها ولاقوه ؟!
- هى آلان كبيره ولابد لها من عمل والا ستكون عاله على الجميع اتقبلين هذا ؟؟!!
وكأنها لأول مره تسمع اسمها وهى فى ملابس الحداد السوداء .. تلعثمت شفتاها وخرج صوتها مبحوحا كأنه أت من واد بعيد:
- هذا حرام هذا ظلم كبير ولن يجزيكم الله خير أبدا ما دمتم بهذه القسوه .
وكان الجميع فى ذهول تام والعقد أمامهم على المنضده .. وهم الشباب بالانصراف لدواعى السفر فما كان الا ان وقعت " أمل " رغما عنها تحت كلمة المستأجر وشهد اثنان من الجيران على التوقيع وذهب الشبان الثلاثه الى الشهر العقارى لتسجيل العقد واثبات صحة التوقيع ولحقوا فى اليوم التالى بطائرة مصر للطيران فى الرحله رقم ٣٧٤ المتوجهه الى نيو يورك .

-٦-

ذهب زملاء زكريا الى بيته المتواضع .. استقبلتهم زوجته وكانت دائما ما تجلس معهم فى وجود زكريا لأنها موظفه فى قسم شئون العاملين تدور أحاديثهم غالبا عن أحوال العمال والاجور المتدنيه وأعباء الحياه ولقمة العيش وكانت تقطع حديثهم دائما حينما تدخل عليهم بصينية الشاى والبسبوسه لكن اليوم لم يجلس معهم زكريا فى غرفة الضيوف .. واستأذنتهم ان يجلسوا معه فى غرفته حيث كان ممدا على السرير ووجهه شاخص الى السقف ولا يبدى أى حراكا !!..ألقوا عليه تحية المساء جاء رده ضعيفا هزيلا لم يره زملاؤه على هذه الحاله من قبل لكنه استجمع قواه واعتدل قليلا فى جلسته بمساعدة زوجته وأخذ يفيض فى الكلام ...
- زمان كان التعذيب جسديا ولم يكن شيئا غريبا ان نتحمله فنحن الرجال خلقنا لذلك لكنه اليوم صار بدنيا ونفسيا رجال أمن الدوله يريدون قهر الناس وليس تعذيبهم ذنبنا اننا نطالب بحقوقنا فى بلد يقال انها ديموقراطيه أى ديموقراطيه تسمح بقهر الرجال وهتك عرض النساء!
- لاحظوا ان الكلام سيتعبه أكثر قالوا لاعليك لاتتكلم ونحن الذين سنتكلم وأبدى أحدهم ان يغير الموضوع فنحن جئنا لنخفف عنك لا ان نجهدك
- لا لابد ان أتكلم وسأفضحهم فى الجرائد أولاد الملاعين ما ذنب ابنتى الوحيده أن يهتكوا عرضها وكانت زوجته أمامه فخرجت والدموع الغزيره فى عينيها(لتحتضن ابنتها الفاقده للوعى تماما ولاتدرى ما حولها) احضروها بالقوه من حضن أمها وأودعوها أمامى وأنا مغمض العينين مكبل اليدين أمام ضابط أمن الدوله(محسن عفيفى) سمعت صوتها المخنوق وهى تستنجد بى :
- بابا ألحقنى !! وهم يجردونها من ملابسها قطعه قطعه والضابط بصوته الأجش يقول لى :
- الاعتراف اولا يازكريا وانت عارف ايه اللى حيحصل لو لم تعترف
- اى اعتراف يا باشا
- بأنك كنت الرأس المدبر للمظاهره
- انا كنت الرأس المدبر يافندم ولكن افرجوا عن أمل
- وهذه المظاهره أدت الى تكدير السلم الاجتماعى وتعطيل الحياه فى الشركه ليومين .
- اكتب اللى يمليه عليك ضميرك يافندم ولكن الا ابنتى .. الا ابنتى هى كل ما املك من الدنيا .
- طيب يا زكريا ومين تانى كان معاك وحذارى أن تكون اسماء وهميه والا لن تراها ثانية .. صمت وأفقت بعد القاء الماء البارد على وجهى اثر توجيه الكثير من اللكمات والشلاليط وانا جالس القرفصاء على الارض عار تماما واختلط انينى المكتوم بصراخ ابنتى الذى كاد ان يصم أذنى ..
وكأنه عاد الى الحياه وأخذ نفسا عميقا ووجه الى الزملاء اعتذارا :
- سحبوا منى اعترافا بخط اليد على سمير ومحمود وعارف وهم جميعا فى أمن الدوله رهن التحقيق يا للعار سامحونى
- طبعا مسامحينك يا ريس زكريا انت مثلنا الأعلى ولا يهمك هذا الاعتراف (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) وانت قلبك كله ايمان بمبدأ العدل والمساواه بين البشر .
أدرك الزملاء ان حالة زكريا لم تعد تسمح بمواصلة الحديث فاستأذنوا بالانصراف وألقوا على الزوجه تحية الوداع تاركين معها مظروفا أبت ان تأخذه وقبلته مع الحاحهم الشديد وشكرتهم على صنيعهم وكادت تبكى ..

-٧-

ورث قدرى عن أبيه – رجل الاعمال الشهير - بعضا من الاملاك آلت اليه قبل وفاة الوالد بأيام متأثرا بماجاء من قرارات اشتراكيه بعد الثوره .. منها عماره سكنيه فخمه بالحى الراقى حيث يسكن هو وزوجته وقد تنازل لها عن دور بالكامل (٣ شقق) فى مقابل ألا تفشى سره وتشهر به عند أهلها وخاصة والدها الذى دائما ما يفاتحه فى الأولاد فهو يريد ان يرى احفاده بجانبه ويكون الرد جاهزا عند قدرى ان(نور) تريد ان تستمتع بحياتها أولا قبل مشاكل الحمل والانجاب وخصوصا وهى صغيره فلا داعى للعجله .. وهكذا تم الاتفاق بين قدرى ونور حينما تفاتحها والدتها ايضا فى امر الانجاب .. رضيت نور بحظها وانشغلت كثيرا فى مشروعها الجديد حيث افتتحت مركزا للتجميل وملحقا للياقه البدنيه استقطب الكثير من الشبان والشابات وكان يدر عليها دخلا كبيرا تودعه فى حسابها أول كل شهر ... وأصبحت مدام نور قدرى من سيدات المجتمع الراقى وأصبح مركزها من أهم مراكز التجميل بالمدينه ..

وفى رحلة البحث عن عمل اشتغلت "أمل" فى هذا المركز الضخم بمساعدة احد أفراد الأمن بالعماره - وهو بالمناسبه احد جيرانها- وكانت طبيعة عملها التنظيف والترتيب وهى بالتالى تكون آخر من يغادر المركز فى وردية المساء وقد اجتازت فترة ستة اشهر كانت مدام نور قد وضعتها تحت الاختبار اثبتت فيها جديتها وأمانتها فى العمل.. أعجبت بها السيده نور وبدأت تثق بها وأوكلت لها أعمالا اخرى غير التنظيف والترتيب منها المساعدة فى تصفيف الشعر وأعمال المكياج وبالتدريج اتقنت تصفيف الشعر ولحسن حظها سافرت احدى المتخصصات فى التصفيف الى الامارات مع زوجها فأخذت مكانها وبالتالى أقتربت كثيرا الى قلب مدام نور وخصوصا انها أصبحت تطلب بالاسم من السيدات المترددات على المركز وكانت تدور احاديث عابره بينها وبين هؤلاء السيدات لكنها كانت لاترتاح اليهن كثيرا تحس دائما فيهن فراغا واستخفافا لامتناه وكان عليها أن تستقبل تعليقاتهم الشاذه بابتسامه رقيقه مرسومه على شفتيها

نظرت اليها احدى السيدات فى المرآه وكانت تضع ساقا على ساق و يظهر بياض فخذيها من تحت فستانها القصير :

- اين تسكنين ؟!
- بشارع النصر
- أكملت دراستك أم لا ؟!
- اكتفيت بالدبلوم
- عندى لك وظيفه تناسب مؤهلاتك (وتطلعت بشغف الى جسدها الغض) .
- شكرا يا مدام

- انا أتكلم جد يمكن أن تعملى سكرتيره فى شركة استيراد وتصدير ومدت يدها الى حقيبتها الصغيره وناولتها كارتا به اسم الشركه وصاحبها وارقام التليفونات وقالت باهتمام .. عزيز بك صاحب الشركه أعرفه منذ زمن طويل (صديق للعائله قديم) قالتها بصوت منخفض ولا يؤخر لى طلب حاولى ولن تخسرى شيئا !

تفحصت بدورها الكارت و تظاهرت بالشكر والامتنان ....

كانت هذه السيده وغيرها الكثيرات هن المترددات على مركز نور للتجميل واللياقه يقلن كلاما يخفى باطنه أكثر مايبدى ظاهره وجاء الدور على مدام نور جاءتها يوما احدى السيدات الثريات تبدى رغبه حاره فى ان يكنا شريكتين فى مركز آخر وحتى تكون جاده معها قالت على الفور :

- فلنرى المكان الآن خير البر عاجله
- فلننتظر حتى يأتى زوجى من السفر (فى مهمه رسميه خارج البلاد)

أبدت السيده استياءها قليلا وترجمت رغبتها بابتسامه ماكره :

- المكان لايبعد كثيرا والسائق ينتظرنى بالخارج ولن نتأخر..

وتحت الاصرار ذهبت مدام نور مع السيده الثريه الى المكان المزمع تأثيثه ليكون مركزا أخر للتجميل واللياقه استقبلهم موظف الأمن بالترحاب وفتح لهما باب المصعد واغلقه عليهما وصعدا الى الدور الرابع وكان ينتظرهما مدرب للياقه البدنيه (والذى ترشحه السيده ليكون مديرا للمركز) وهو متناسق الجسم ممشوق القوام وسيما حسن الهندام يبدى أدبا جما ولباقه غير عاديه فى كلامه عن المركز الجديد لم تسمع منه نور تقريبا أى كلمه ولم تتنبه الا وهو يوجه لها دفة الحوار ويقول باهتمام بالغ :

- وما رأيك يامدام نور ؟!

قالت باقتضاب :

- شيء جميل وكم سيتكلف

لاتتعجلى يامدام كل شيء سنحسبه بالورقه والقلم

ضحكت السيده الثريه ووجهت كلامها لنور:

- الكابتن عامل حساب لكل شيء لا تخافى عليه

تتطلعت نور الى جسده المشوق وصدره البارز كأنها تراه لأول مره وقالت :

- خلاص ياكابتن نتقابل فى مركزى مساء الجمعه القادم على ان تكون حسبت كل شيء وعرضت على ميزانية المشروع الجديد .

قال الكابتن بابتسامته المعتاده :

- حاضر يامدام

كانت نور تعلم ان يوم الجمعه اجازه فى المركز ولن يأتى قدرى من الخارج الا بعد يومين وجاءها الكابتن- بوسامته ولباقته المعهوده حسب الميعاد - و قد ارتدت فستانا ضيقا قصيرا انتقته بعنايه من دولابها الخاص واكتملت أناقتها بعقد من الاحجار الكريمه تدلت حباته حتى منتصف صدرها العارى مع خاتم وقرط من الماس الحر وظهرت كأنها ملكه متوجه .. وتكلم الكابتن فى أمور كثيره لم تقاطعه نور وأخذ حديثه ينساب كالمخدر يسرى فى جسدها ويدغدغ مشاعرها.. أشعلت سيجاره فرنسيه وأخرجت زجاجة نبيذ من الثلاجه الصغيره بجوار مكتبها .. ارتشفت من كأسها رشفتين ثم ناولته كأسا طويله مذهبه ازدرد مافيها دون ان يبقى قطره واحده وكانت الى جواره على الاريكه الجلديه أحست بدفء انفاسه تتسرب الى وجهها وقشعريره تهز كيانها الضئيل .. تاهت نظراتها فى تفاصيل عينيه السوداوين .. وفى لذة الخمر وأصداء الموسيقى الهادئه والأنوارالباهته لم تدر نور بنفسها الا وهى غارقه فى أحضانه وهو يحملها بين ذراعيه القويتين ويضغط أسفل ظهرها بعفويه ويمطرها بوابل من القبلات الساخنه .. أغمضت عينيها و تاهت فى أحلامها ثم افاقت على هزات محمومه ترج جسدها بقوه .. استسلمت وتراخت يداها على الارض .. و.. انفرجت شفتاها عن ابتسامه هادئه ناعمه .

-٨-

كان الهتاف قد بدأيتصاعد من جموع الطلبه الذين يرفعون لافتات بيضاء مكتوب عليها بالخط الأحمر العريض بعض الشعارات المناهضه لاحتلال العراق والهيمنه الامريكيه بالمنطقه العربيه وتخاذل الحكام فى وقف العدوان .. مرت الجموع الحاشده بجوار عمر ورفاقه وهتف الجميع " لا للاحتلال .. لا للعدوان " .

كانت نذر الحرب واحتلال العراق قد بدأت تتصاعد فى المنطقه وكان الشعور العام قد امتلأعن آخره ضد هيمنة القوى العظمى وخصوصا بعدما صرح الرئيس الامريكى بأنها ستكون " حربا صليبيه " وهذه العباره الأخيره كانت القشه التى قصمت ظهر البعير وعبأت مشاعرالكراهيه فى كل مكان وخاصه فى الدول العربيه والاسلاميه تجاه كل ما هو أجنبى وقامت المظاهرات فى معظم المدارس والجامعات وخرج الناس فى الشوارع العربيه والاجنبيه ايضا وتحرك تيار جارف بوقف العدوان على العراق ..

فى هذه الاثناء حاول الطلبه المتظاهرون الخروج الى الشارع وبالطبع منعهم حرس الجامعه وكانت قوات احتياطيه خارج الجامعه قد ضربت حصارا أمنيا كثيفا حول أسوار الجامعه حتى كان الماره يرون تمركز بعض عربات الامن المركزى فى الشارع الرئيسى والشوارع الفرعيه .. أثار هذا الحصار الامنى المفروض على طلبة الجامعه حفيظة بعض الطلبه وخاصة المحسوبين على التيار الاسلامى وطلب أحدهم من خلال مكبر الصوت - وكان محمولا على الاعناق- ان تفتح ابواب الجامعه ثم يتبع بصوت رخيم فى تلاوة هذه الايه من سورة البقره ويكررها " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين " صدق الله العظيم.. بدأت الجموع تتحرك بكثافه تجاه البوابه الرئيسيه وأفراد الامن يحاولون باستماته منع المظاهره من الخروج الى الشارع حتى لايحدث مالا يحمد عقباه !!

وفعلا استغل الطلبه ثغره فى الباب الحديدى وأخذوا يتدفقون منها الى الشارع بمحاذاة الواجهه الرئيسيه لكن قوات الامن كانت قد أغلقت الشارع ووقع الطلبه فريسه للقنابل الدخانيه المسيله للدموع وزخات الرصاص التى اطلقت فى الهواء...

لم يجد الطلبه بد من وقف المظاهره وظهر عمر من بين الجموع والدخان الكثيف .. يتفقد زملاؤه وأشد ما أثار انتباهه ان وجد صديقه محمود الطالب بالحقوق قد وقع صريعا مضرجا فى دمائه .. أصابته رصاصه طائشه من رصاصات جنود الامن المركزى .

-٩-

على شاطىء البحر وهما يتمشيان ويداهما متشابكتان والسماء صافيه زرقاء الا من غيوم بعيده داكنه ، والموج المتلاطم يضرب بغزاره كتل الصخر المتراصه على الرمال الذهبيه .. استنشقت " أمل" نسيم الهواء وملأت رئتيها .. صرح عمر بحبه لها ، فقالت فى وداعه واستسلام:

- وهل تشك فى حبى لك ؟!
- أبدا
- لكنك تغيرت كثيرا .. أصبحت شاردا و على عنادك لا تذهب الى الجامعه
- نعم لأنى أبحث عن عمل
- انهى دراستك اولا
- وما تفيد الدراسه (قالها بتحد)
- لتضمن لك وظيفه مناسبه يمكن على أثرها ان نرتبط سويا
- وهل محمود كان ينتظر الوظيفه المناسبه
- العلم عند الله .
- نعم .. لكن محمود كان يحلم بالهجره وصور لنا دنيا غير التى نحياها فيها من الحياه الحره الكريمه فوق ما نتصوره ونأمله ما ذنب محمود ان يقتلوه لقد كان يحب الحياه .
- أولى بهم ان يحاربوا الطغاه لا أن يقتلوا الابرياء

وكان صوته قد خنقته الدموع وهما يحثان السير وقد بدأ الرصيف يكتظ بالناس فجلسا على الكرسى الحجرى وهى بجانبه شارده وقد أفاقت على صوته :

- قالت لى أمى : ان أبى فى تنقله من عمل الى عمل ومن بلد الى بلد كان دائما يقول لأصحاب الأعمال ليست الشهاده هى المهم لكن الأهم هو اتقان العمل سأحترف أى عمل حتى أتقنه وسأسير على درب أبى الذى اتمنى ان أراه الآن بعد ان فارقنا من سنين .

قالت بعفويه :

- يكفى ان لك أما عظيمه كنرجس .. وجاشت نفسها بذكريات أمها التى لم تعد تعلم عنها شيئا وكادت تبكى لكنها تحاملت على نفسها وبدت طبيعيه تماما ..
- ياليتها لم تنجبنى حتى لايجىء اليوم الذى أرى فيه محمود يقتل أمام عينى ولا أستطيع أن أفعل له شيئا .. أى ظلم هذا .. وأى عذاب هذا
- يمكنك ان تستغل مهارتك وتصور لنا هذه الحادثه أعرف انك ماهر فى الرسم والتعبير بالالوان والفرشاه .

وكأنه قد تذكر شيئا منسيا :

- هذا ما أفكر فيه وأتمنى ان يرى العالم كله هذه المأساه .. لن يضع دم محمود وسأقترح عليهم فى أسرة "النجوم " بالجامعه ان يخصص يوم باسم الشهيد نجتمع فيه مع أسرته نتذكره ونحى فيه شهامته .

أفاض عمر فى حديثه عن صديقه وقبل أن تختلط السماء بألوان المغيب ركز بصره فى عينيها العسليتين الواسعتين .. ولأول مره يلاحظ جمالها ورموشها الطويله الجذابه وقال وكأنه يؤنب ضميره - أثقلت عليك

- احب أن أسمع أى حديث منك أنت تمثل لى أشياء كثيره..

وودت ان تحتضنه وتعلن للماره المتطفلين انها تحبه وعلى استعداد ان تضحى بعمرها من اجل ان يرضى حبيبها عنها .

وقاما وقد مالت الشمس نحو الأفق البعيد واقتربا كثيرا من مركز نور للتجميل وودعها عمر على أن يلتقيا فى اليوم التالى .

-١٠-

فى لقاءات نور والكابتن العلنيه دائما ما يدور الحوار بتحفظ شديد ولاينسى الكابتن احضار ملف به العديد من الأوراق لدراسة المشروع المقترح ورسومات داخليه ملونه للمركز بعد الانتهاء من التجهيزات والتشطيبات أما لقاءهما الخاص فكان يحاط بجو من السريه والاستعدادات منها عدم تواجد أحد بالمركز أو سفر الزوج الى الخارج وكانت نور تتأكد دائما من عدد الايام التى سيقضيها قدرى بالخارج تسأله قبل سفره فى دلال كأنها منتظره عودته بفارغ الصبر وتكتب عندها فى اجندتها الخاصه ولا تدع شيء للصدفه وتعددت لقاءات نور بالكابتن فى شقة قدرى أيضا وعلى سريرها ذو الشراشف الحمراء ..

وفى لحظات الحب المفعمه بالرغبه وهى بين أحضانه سمعت وقع أقدام و باب غرفة النوم يفتح على مصراعيه لتجد قدرى أمامها بشحمه ولحمه (عاد لتوه من السفر قبل ميعاده بيومين) وبدا كأنه قد سمع اصواتها الملتهبه .. نظرت اليه بصعوبه تحت الضوء الخافت وقد احمر وجهه وجحظت عيناه وجرى كالثور الهائج وانتشل كرسى التسريحه ورمى به فى وجهيها تلقفه الكابتن بيده اليسرى قبل أن ينزل على رأس نور التى أفاقت من الصدمه وبدأت تسحب ملاءة السرير وتدارى بها جسمها العارى .. وقف الكابتن وحاول ان ينقض على قدرى لكن قدرى كان قد عالجه برصاصه من مسدسه الذى سحبه على الفور من درج الكوموود بجوار السرير حاولت نور ان تمنعه من ان يفرغ باقى الرصاصات لكنها كانت قد استقرت فى صدرها وفى جسد الكابتن الضخم .. وكان الجيران عند منتصف الليل قد سمعوا اصوات صراخ وعويل أعقبه صوت الرصاص فتجمعوا عند شقة قدرى يطرقون الباب بعنف .. ولا مجيب !! فاستدعوا الشرطه التى جاءت على الفور لتقتحم الشقه ويدخل الضابط ومعه بعض الجنود الى غرفة النوم ليجدوا ثلا ثة أجساد غارقه فى بحر من الدماء .

-١١-

تولى السيد / صبرى عبد الدايم تسيير أمور الشركه وفى غضون شهور قليله كانت قد تداعت أسهمها فى البورصه لتأتى القرارات السياديه بعرض أصول الشركه للبيع.. وبيعت الشركه لرجل أعمال كبير وتولى تصفية بعض العمال والموظفين على أن يتم تعويضهم تعويضا لم يكن مناسبا بالقدر الكافى...

وبالتالى لجأ البعض الى الدواوين المختصه ومرت الايام وما زالت القضايا تنظر فى أحد الدوائر الا ان زكريا لم ينتظر طويلا فبعث الكثير من الشكاوى وعليها توقيعه وتوقيع بعض زملا ئه الى جرائد المعارضه وأثير الموضوع أخيرا فى البرلمان فى طلب استجواب من نائب الدائره المستقل للوزير المختص بصفته وشخصه وكان استجوابا عاصفا فى جلسه لم يشهدها المجلس من قبل قصد فيها سيادة النائب احراج الوزير والحكومه وسعى المجلس الى تمرير قوانين فى غير صالح الشعب ووجه اتهامه المباشر الى الوزير بوجود (مكافآت) غير قانونيه ولا تخضع لأى لوائح للجنه الوزاريه التى تشرف على بيع أصول الشركات العامه وبالطبع لم تسكت الاغلبيه المحسوبه على النظام الحاكم فى الرد المباشر على سيادة النائب وغيره من النواب المعارضين وتراشق الجميع بالالفاظ الجارحه لدرجة ان خرجت بعض النائبات من الجلسه حياء مما يحدث تحت قبة البرلمان وأحيل السيد النائب وزملاؤه الى لجنة القيم وحفظ الاستجواب !

أما نرجس فقد جلست فى البيت لأول مره ..اغلقت باب غرفتها .. فتحت النافذه المطله على الشارع .. لفحتها نسائم الهواء البارد فى ساعات الصباح الاولى .. واربت الشيش واسدلت الستائر ليدخل شعاع منكسر بسيط من الضوء .. تحررت من ملابسها .. نظرت فى المرآه طويلا .. فقد نسيت تقريبا تفاصيل وجهها الابيض المشرب بالحمره و التى بدأت التجاعيد تتسلل اليه دون أن تدرى وخصرها الذى ترهل كثيرا وشعرها الداكن الذى اختلط بشعيرات من اللون الابيض .. أدارت المذياع .. جاءها صوت عبد الحليم فى أغنيه رومانسيه وتاهت فى ذكرياتها ... حين ارتجت عواطفها وذابت فى أول قبله ثم تبعتها قبلات أخرى شاهقه .. ليتم اللقاءالاول الذى تأخر كثيرا .. وتعلن لنفسها بأحقيتها بأن يكون لها تجربه جسديه كامله كغيرها من الفتيات الصغيرات .. اللاتى تزوجن قبلها بكثير.. والغريب انها فى كل مره كانت هى التى تبدأ العلاقه وتنهيها بارادتها .. خالجها شعور خفى ارتبط معها بسنين زواجها الاولى .. لجأت الى علبة المكياج وأزاحت عن وجهها بعضا من غبار السنين .. رقصت .. اهتز نهديها .. دارت فى الهواء.. وكادت تقع من فرط النشوه.. اسندت ظهرها الى الحائط .. تحسست ساقيها الطويلتين .. وعاودت الرقص من جديد ..

عاشت سنين عمرها كبندول الساعه لاتكل ولاتمل فرضت عليها الحياه أن تحياها بحلوها ومرها.. لم يمهلها القدر أن تستمتع بحياتها الزوجيه .. سافر الزوج ولم يعد .. وجاء ابنها الى الدنيا وانشغلت به عن أى شيء آخر.. أفنت حياتها فى تربيته ولم تتزوج ثانية رغم نصائح الكثيرات لكنها فضلت

البقاء بجانبه ومرت السنين وكبر الابن وستكون له حياته الخاصه وسيخلو عليها البيت .. ستبدأ من اليوم هى الاخرى حياه جديده وتعيش كما يحلو لها .. معها من المال الآن مايكفيها بأن تذهب الى أى مكان .. تتذكر دائما انه باق فى حياتها الكثيرالذى لم تفعله ..

-١٢-

أغلق مركز نور ابوابه وآلت ملكيته الى الورثه وتنازل الاب والام عن حقها فى الميراث كصدقه جاريه على روح ابنتيها وتنازع باقى الورثه على الاستغلال الافضل للمكان .

وبالتالى أصبحت " أمل " فى البيت طريدة الحزن والأسى .. لاتملك من أمر نفسها شيئا لو كان الأمر بيدها لحققت نجاحا كبيرا فى عملها الأخير.. لكن ما العمل الآن ؟! وشبح الايجار يطاردها فى كل مكان تذهب اليه بل أصبح وكيل الورثه يأتى اليها فى أحلامها فى هيئة شيطانيه تكاد لاتتبين ملامحه فهو خليط من وجوه متعدده يلبس مسوحا سوداء ودائما ما يشير الى أوراق عليها توقيعها ولا يخلو كلامه من تهكم واضح وضحكات مستعره !!

رأسها يكاد ينفجر والصداع المزمن يلازمها ولاينفع معه دواء .. لفت انتباهها اعلانا صغيرا فى الجريده المسائيه "مطلوب عاملات لفندق كبير " اتصلت على رقم التليفون اسفل العنوان رد عليها صوت نسائى ناعم حددت لها مقابله مساء الاثنين .. ذهبت فى الميعاد وسألت موظف الاستقبال الذى أشار الى مكتب فى نهاية الممر الطويل على يمين بهو المدخل وقبل ان تصل الى المكتب وجدت عشرات من الفتيات فى انتظار دورهن .. وأخيرا جاء دورها لمقابلة مدير الفندق الذى رحب بها وقد أبدى انشغاله بأوراق بين يديه يقلبها ثم ينظر اليها بتمعن وساد صمت قصير قطعه رنين جرس التليفون عن يمينه رفع السماعه ودار حديث طويل وهى جالسه على كرسى جانبى يكاد القلق يقتلها وفكرت أن تفر هاربه دون ان يلحظها احد ..أفاقت على كلمات الترحيب ثانية ودار حديث قصير .. وبدأت عملها فى اليوم التالى فى تنظيف وترتيب غرف النزلاء ..

-١٣-

بعد أيام على عودتها من أداء عمرة المولد النبوى حيث ذهبت نرجس بصحبة جاراتها .. بدأت روح جديده تسرى داخلها ..أصبحت أكثر التزاما وارتدت الحجاب والعباءات الفضفاضه وواظبت على الصلوات وتلاوة القرآن الكريم وحضور الندوات الدينيه فى بيت أحدى السيدات التى تعرفت عليها فى رحلتها الى بلاد الحرمين وهى امرأه أنيقه فى نهاية العقد الرابع منتقبه لبقة الحديث تستضيف دائما فى صالون بيتها الفاخربعضا من السيدات الملتزمات يتوسطهن شيخ متوسط العمر كث اللحيه حليق الشارب .. قصيرا .. يستفيض فى كلام طويل عن الجنه والنار وعذاب القبر وما أعد الله سبحانه للمحسنين فى الاخره من نعيم مقيم وما توعد به للمسيئين فى الدنيا من عذاب شديد وتسأل بعض الاخوات أسئله سطحيه – من واقع خبرتهن الدينيه المحدوده - فيرد عليهن الشيخ باجابات مقنعه مع دعواته الدائمه لهن ان يهديهن الله الى الطريق المستقيم ولايتحرج ان يدعو سافرات الوجوه الى النقاب ويستشهد بآيات الكتاب الحكيم وأحاديث نبويه من كتاب البخارى وصحيح مسلم ثم يعرج على الاوضاع الراهنه فى بلاد المسلمين وخاصة البلاد التى تسمح بالخمور و الحفلات الماجنه والكليبات الفاضحه ثم يتسائل بدهشه حائره : كيف يستقيم ذلك ؟! والبلاد محكومه بدستور يطبق الشريعه الاسلاميه ثم يبسط حلا جاهزا وهو ان يطبق كل فرد على نفسه وعلى غيره ما جاء فى الشرع الحنيف ويستشهد بالحديث الشريف " تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى " . كل ذلك و السيدات يسمعن بآذان صاغيه وينجذبن الى حديث الرجل كأنهن يسمعنه لأول مره . وبعد انتهاء الندوه يخرج الشيخ أولا ملقيا تحية الاسلام وفى يده بعضا من أمهات الكتب بطبعات حديثه فاخره .. ثم تلحق به بقية الأخوات تباعا الا ان السيدة المنتقبه أبقت نرجس قليلا لتفاتحها فى أمر هام .. رجعا معا الى الصالون وجلسا متقاربين وأزاحت السيده النقاب عن وجهها الابيض الرائق وبدت رائعة الجمال مكتنزة الشفتين و لاأثر لمساحيق على وجهها وبادرت بالقول :

- أرجو الا نكون قد أثقلن عليكن اليوم فالشيخ يوسف (جزاه الله خيرا) يمتعنا بحديثه الشيق الذى نتمنى ألاينتهى ابدا
- يبدو صغيرا الا ان علمه الغزير أكبر كثيرا من سنه فى أى جامعه تخرج ؟!

ابتسمت السيده والتمعت اسنانها البيضاء وقالت بتحد ظاهر:

- لايهم من اى جامعه تخرج ولكن الأهم كم من النساء التزمن على يديه وكم من الشباب اهتدوا وعرفوا طريقهم الصحيح .
- وأنت كيف التزمت ؟!

وراحت السيده تجتر الماضى :

- كنت أيام (جاهليتى) قالتها و الدموع قد بدأت تزحف الى عينيها الخضراوين .. أشرب الخمر وأرقص فى الفنادق فى ليالى الصيف الساهره .. كانت حياتى فارغه لايملؤها الا الرجال المتحلقين حولى أقربهم منى باشاره من أصبعى والذى أشك فى اخلاصه لى أبعده عنى حتى ولو كان على فراشى .. لا انتظر منهم مالا أو جاها كنت أبحث عن سعاده من نوع خاص أن أمتلك من يريدنى لا ان يمتلكنى هو كما يريد .. وسكتت قليلا ثم تابعت وقد اختلط كلامها ببكاء حار . . فى ليله باهته وأنا فى أحضان رجل مسن جاءنى خبر ابنتى الوحيده وهى بين الحياه والموت اثر انقلاب سيارتها المسرعه قمت كالمذعوره وأنا بقميص النوم وذهبت الى المستشفى لأجد ابنتى قد فارقت الحياه .

- فليرحمها الله وكم مرت على هذه الحادثه ؟

- خمس سنوات وانا أتذكرها عروسه فى سن الزواج لكنى الآن استودعها عند الله تعالى فهو أرحم بها منى . وكفكفت دموعها الغزيره وكأنها قد تذكرت شيئا فقالت على الفور :

- أنسيتنى ما كنت سوف أحدثك فيه

- خيرا

- ان شاء الله خيرا فالشيخ يوسف يريد الزواج منك على سنة الله ورسوله !

ألجمتها الدهشه وقالت باستغراب :

- لكنه متزوج من الاخت فريده !!

- نعم وما المانع أن يتزوج ثانية ان كان فى مقدوره الانفاق على اثنتين وخصوصا انه معجب بك كثيرا ويود ان تكونى فى عصمته وتلتزمى بالزى الشرعى كما التزمت أنا .

- أعطنى مهله للتفكير فالامر ليس سهلا وابنى لن يوافق فهو عنيد

- وما دخل ابنك وعناده فى تطبيق شرع الله

وسكتت نرجس قليلا وودعت السيده المنتقبه مع الحاحها المستمر باعطائها الرد قريبا .

-١٤-

فى ملصقات صغيره استغل عمر موهبته الفنيه فى التعبير عن مقتل صديقه محمود فصوره ممددا على الارض وقد تلطخت الارض بالدماء وحول وجهه هاله من النور وعن يمينه مبنى الجامعه العتيق وقد امتزجت قبة السماء بماء البحر فى ألوان رماديه داكنه وطيور النورس تحلق وتطير من بعيد ولم ينس ان يكتب بخط بارز يوم ٧ مارس " يوم الشهيد ".

وتم تداول هذه الملصقات وانتشرت بسرعة البرق بين الطلبة فى الحرم الجامعى وأخذ البعض ينشرونها بين زملائهم خارج أسوار الجامعه والاحاديث لاتنقطع فى الاروقه والمدرجات عن صاحب الفكره العبقريه التى كان لها تأثير السحر فى النفوس وقد اكتملت الفكره بعد أن استطاعت اسرة " النجوم " أخذ الموافقه والتصريح بتنظيم حفل تأبين لم يحضره العميد (لانشغاله باجتماع مع رئيس الجامعه) وحضره وكيل الكليه لشئون الطلبه وحضرت أسرة الشهيد وبدىء الحفل بتلاوة آى الذكر الحكيم من طالب الاخوان : بسم الله الرحمن الرحيم " يأيها الذين أمنوا استعينوا بالصبر والصلاه ان الله مع الصابرين . ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل أحياء عند ربهم ولكن لاتشعرون . ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات . وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبه قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه . وأولئك هم المهتدون " صدق الله العظيم .. خيم على القاعه صمت رهيب ثم تقدم الاب وترحم على ابنه كثيرا ثم تكلمت الام ودموعها لاتفارق عينيها مما أثار الشجون وعلامات الاسى على الوجوه وانبرى فريق من الطلبه يطالب بحق الاسره فى دم ابنها البار وكان النداء المتفق عليه " دم الشهيد فى ذمة رجال الامن " . حاول الاستاذ الدكتور تهدئة الموقف وانه ماجاء الا ليواسى هذه الاسره المنكوبه فى ابنها وليرحم الله الجميع ساد هدوء حذر فى القاعه الصغيره بالدور الارضى واندفع عمر بين الجموع المتراصه وأخذ يردد النداء المتفق عليه أشار الاستاذ بضرورة الالتزام بالنظام حتى تستطيع الجامعه رد الاعتبار لابن من ابنائها ساد الصمت ثانية والرجل يفيض عن مدى معرفته برجال الامن البواسل وماكان هذا ليحدث الا بسبب الفوضى العارمه نتيجه خروج الطلبه من الحرم الجامعى واعتلائهم السور الخارجى ونزولهم الى الشارع . لكن عمربطلاقته المعتاده وجه سؤالا مباشرا : وهل من حق رجال الامن قتل الناس فى الشوارع ؟!

- يابنى هناك تحقيق وسنعرف بالضبط ما الذى حدث ولن يضع حق وراءه مطالب
- الذى حدث ان رجال الامن أطلقوا القنابل المسيله للدموع على جموع الطلبه دون تفرقه وقد اختنقت كثير من الطالبات وسقطن مغشيا عليهن وهن الآن فى المستشفيات ثم أطلقت الرصاصات المطاطيه فى الهواء حتى استقرت احداها فى صدر الشهيد .
- ستحمل الجامعه على عاتقها الدفاع عن أبنائها وبناتها دون ضغط من أحد أى كان.
- (تصفيق حار)
ويبدوان الاستاذ الدكتور كان مهموما بما حدث رغم انشغاله فى كثير من الامور الجامعيه وهذا ما دعاه الى تكرار الجمله الاخيره من كلامه فى نبرات هى أقرب الى التحدى .
وقد انتهى الحديث حيث مضى الطلبه فى حوارات جانبيه بعد خروجهم من القاعه لكن بعضهم لم يستبشر خيرا ... وخرجت أسرة الشهيد و أسراب الحزن لازالت تحلق فوق الجميع .

-١٥-

الفندق الفخم على الطراز الحديث والواجهات الزجاجيه المطل على مياه البحر الزرقاء وحدائق القصر اللالامتناهيه به الكثير من الغرف والاجنحه الخاصه بالشخصيات الهامه وقبيل الغروب ينحدر النزلاء الى سطح الدور الرابع حيث تصدح الموسيقى وتسطع الاضواء اللامعه حول حمام السباحه وساحات الرخام الابيض الناصع وحين ينعطف الليل الى منتصفه تصطخب الموسيقى ويلتف الرجال والنساء فى حفلات راقصه الى الصباح ..
وبالتالى تصعد " أمل " فى هذا الوقت الى الجزء المخصص لها لتنظيف وترتيب الغرف ومعهاmaster–key وصعدت الى الدور التاسع طرقت باب الجناح المخصص للثرى العربى وحراسه ثم دخلت- لم يكن أحد بالطبع- واجتازت ردهه صغيره مفروشه بالسجاد الشيرازى المزخرف بدقه متناهيه وتتدلى نجفه من السقف بها بعض الثريات الصغيره تشع ضوءا باهتا ينعكس على مرآه ذات اطار فضى محلى بأوراق ذهبيه مدت عينيها الى الداخل حيث غرف النوم وقد فرشت بسجاجيد أخرى مزينه بمثمنات هندسيه معقده .. أدارت المكنسه الكهربائيه ولاحظت ان نهايتها تغوص فى الشراشف السميكه وتلتقط بعضا من أعقاب السجائر الغليظه وأوراقا مهمله ثم استدارت ناحية السرير الخشبى المحمول على أعمده مخروطه من العاج لترتب الملاءات الكثيره المبعثره على الارض .. أزاحت الستائر المخمليه لترى من خلال الزجاج العاكس أنوار شارع الكورنيش الذى لايهدأ أبدا فى الليل من حركة السيارات المسرعه . أكملت عملها المعتاد واتجهت ناحية الباب الخارجى وهى تلملم أدواتها وفى ثوان معدوده وجدت أمامها أربعة من الرجال الاشداء ذوى الصدور العريضه والطول الفارع والايدى الغليظه وكانوا فى عجله من أمرهم وشرعوا فى حمل حقائبهم المتراصه على الأرض وحين تلاقت نظراتهم المشحونه بالرغبه بعينيها الواسعتين دارينهم حديث عابر- بلهجه لم تفهمها - وابتسامات صفراء باهته ..كانت تتحاشاهم وتهم بالخروج شدها أحدهم من ذراعها .. حاولت تجنبه لكن أخطأها التوفيق ووقعت على الارض فوق السجاد المزخرف وتاهت بين غابه من السيقان الطويله ..

-١٦-

لم ييأس زكريا فى سعيه الدؤوب لاسترداد حقه المغتصب .. تكبد الكثير مع غيره ممن التحقوا بالشركه فى سن صغيره فى ورش التدريب الى ان صدرت فى حقهم قرارات التعاقد بأجر ثم التعيين والتمتع بمزايا التأمين الصحى والاجتماعى ومر عليه العديد من رؤساء مجالس الادارات لكنه لم يرخلال سنين عمره ولم يمر بخياله ما آلت اليه الاوضاع كما يرى آلان .. هل هذا هو ثمرة العطاء ؟!هل هذا هو ثمرة الكفاح فى الحياه المريره؟! هداه تفكيره أخيرا أن يرفع شكواه الى السيد رئيس الجمهوريه .. باعتباره رب العائله والذى يشدد دائما فى خطاباته بعدم المساس بأرزاق العمال ورفع مستوياتهم المعيشيه . وعلى الورق الابيض جرى قلمه ليكتب بخط سليم :
السيد الاب الحنون / رئيس الجمهوريه

تحيه طيبه وبعد ،،،،،،،،،،،،

الموضوع : التعويضات الغير مناسبه :
بالاشاره الى الموضوع عاليه والى ما تضررت منه وبقية زملائى (الموقعون أدناه) حيث عملنا فى الشركه العامه للتجاره والمقاولات قرابة ثلاثين عاما وكنا مثالا للتفانى والاخلاص فى العمل بشهادة الجميع الا أنه فى الآونه الأخيره وقد تدنت أحوال الشركه – ولاذنب لنا على الاطلاق – فيما يحدث من خسائر قدرت بالملايين حتى جاءت القرارات السياديه الاخيره بحل مجلس الاداره وتعيين مجلس مؤقت الى أن عرضت أصول

الشركه للبيع وتم الاستغناء عن خدماتنا وتعويضنا بمبالغ زهيده لاتساوى حبات العرق التى بذلناها تحت شمس بلادنا الحبيبه لنرفع بناء أو نعلى جدار وقد طرقنا كل الابواب لكنها للأسف كانت موصده أمامنا ولم يبق لنا الا الله تعالى وسعادتكم، أملين أن تحظى شكوانا اهتمامكم ورعايتكم ، وفقكم الله وسدد خطاكم لخدمة أبنائكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،،،،،،،،،

ابنكم :
زكريا حامد عز الدين
٥ شارع النصر – المنشيه – حى الجمرك

أخذ زكريا الخطاب وأودعه مظروفا أصفر حيث تم ارساله بالبريد المستعجل الى ديوان عام رئاسة الجمهوريه .

فتح الموظف الكبير المسئول عن شكاوى المواطنين المظروف ورفع نظارته ذات الاطار المذهب الى مستوى عينيه وبقراءه سريعه أحال الشكوى الى الوزير المختص !!.

وعند الظهر كان قد استيقظ زكريا ليرفع عقيرته بالغناء فيتجمع من حوله نفر غير قليل أزعجهم الصوت الهادر أخذوا يهدئون من روعه ومن ضمنهم زوجته وقد أصفر لونها وزادت نحافتها يشاهدونه جميعا وقد طالت لحيته واغبر شعر رأسه وارتدى جلبابا قصيرا ممزقا .. وراح يلوح بيديه فى الهواء بطريقه داعره وينادى أشخاصا غير معروفين ويكيل لهم بوابل من الشتائم ثم يواصل الغناء الردىء الذى قطعه هذه المره صفير سيارة الاسعاف التى اجتازت الشوارع المحيطه المكتظه دائما بالحركه فى كل الاتجاهات.. حتى وصلت اسفل العماره القديمه وانطلق منها على الفور ثلاثة رجال أشداء بثياب بيضاء باهته وصعدوا الى شقة زكريا وشقوا طريقهم عبر الصفوف المتجمعه حوله ليقتادوه عنوه وبمساعدة الآخرين الى ان غاب عن الوعى تماما بتأثير جرعة المخدر الذى دسها احدهم فى ذراعه بعد مقاومه عنيفه..

وقد اختلط بكاء زوجته بصفير السياره المسرعه التى أخذت طريقها المعروف ثانية حتى وقفت أمام بوابه كبيره بعيده عن العمران ومحاطه بتلال من النفايات والمساحات الشاسعه من الاراضى البور .. تعلوها لوحه معدنيه صدئه مثبته على اسوار عاليه تشير الى مبنى تهالكت جدرانه حيث تتجمع فيه العديد من الحالات الحرجه التى يبذل الاطباء قدر استطاعتهم فى اعادة تأهيلهم نفسيا وعصبيا !! .

وفى المستشفى الخاص – القريب من الفندق - وبصعوبه بالغه فتحت " أمل " عينيها لترى خيالات باهته حواليها لم تستطع فى بادىء الامر أن تميز ملامحهم أدركت بعد جهد انها فوق سرير أبيض فى غرفه أنيقه ومثبت فى ذراعها الايمن انبوبا رفيعا متصلا بسائل يقطر كل ثانيه وبه بعض الحقن ، وشيئا فشيئا بدأ النشاط يعود الى جسمها البارد وتسترد عافيتها من الاغماءه الطويله التى لحقت بها ليلة أمس و النزيف الحاد الذى استمر معها طوال الليل .. لم تستطع أن تتذكر شيئا مما حدث كل ما تتذكره قبل أن تقع على الارض مغشيا عليها هؤلاء الرجال الطوال وهى تحاول أن تفلت من أياديهم الغليظه .. ثم ساد الظلام الكثيف .. وتوقف شريط الاحداث ولم تعد ترى شيئا .. أو تدرى بشىء .. حتى عادت ثانية الى الحياه لتسمع صوتا انطبع فى ذاكرتها ..أحبته كثيرا .. لف ذراعه اليسرى حول كتفها .. واحتواها بين أحضانه .. وطبع على جبينها الشاحب قبله حانيه لاتنساها أبدا ، وبجواره امرأه - بخمار اسود- وقد اغرورقت عيناها بالدموع .. مدت يدها الى الملاءه لترفعها عاليا بعد أن سقطت معظمها على الارض وتناولها بعضا من شرائح اللحم المسلوق المغمور فى المرق الطازج .. وبجوارهما الطبيب المسئول يوصى بالراحه التامه ويكتب تقريرا عن حالتها ويسأل عن محضرالشرطه فتجيب نرجس بان ادارة الفندق قد نقلتها على الفور الى المستشفى وتكفلت بمصاريف العلاج !! وفى ركن الغرفه كان يقف رجلا ملتحيا فى بزه داكنه وقد تسمر ناظريه أمام شاشة التلفاز يتابع باهتمام بالغ ألسنة اللهب والنيران المشتعله فوق نهرى دجله والفرات .

تمت بحمد الله .

سبتمبر ٢٠٠٩

Email : ahmed_ibrahem 289 @ yahoo .com